إشكالية المصطلح العلمي بين الصياغة والتعريب وتعدّد المدلول

The Problem of the Scientific Term between Phrasing, Arabization and Polysemy

الباحث: ياسر خلفاوي

طالب دكتوراه بجامعة الطارف (الجزائر)

الباحثة: وردة شيدوح

طالبة دكتوراه بجامعة سكيكدة (الجزائر)

khalfaoui-yasser@univ-eltarf.dz

تاريخ الإرسال: 2020/08/30 **تاريخ القبول: 2020/09/08**

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى مقاربة الأسس الإبستمولوجية والسيميائية التي تشتغل وفقها التسمية بواسطة المصطلح العلمي العربي، كما يروم معالجة إشكالية وضع المصطلح المترجم والمعرب وتوحيده وتنميطه وما قد يترتب عن عدم التوحيد من إخلال بالمنظومة التواصلية في الحقل المعرفي، ذلك أن إشكالية المصطلح العلمي في الثقافة العربية أضحت مقترنة بالترجمة والتعريب، ونادرا ما تم التطرق إلى مبحث الاصطلاح بمعزل عن هذين المبحثين، وقد باتت ولادة المصطلح العلمي العربي رهينة بوجود المصطلح الغربي وأمسى تداول المصطلحات العربية والخطاب العلمي بين المختصين وقفا على درجة تمكن المتلقي من المصطلحات الغربية ومفاهيمها وهذا إنما ينمّ عن أمرين اثنين: أولهما أنّ الجهاز المصطلحي العربي يكاد يكون غربيا في مفاهيمه وشبه عربي في صياغته، وثانيهما أن مَهَّمة الفكر العربي ظلّت منحصرة في محاولة استيعاب المفاهيم العلمية الغربية ونقلها إلى العربية في صورة قوائم مفردات جلّها معرّب تعريبا صوتيا لا أقل ولا أكثر.

الكلمات المفتاحية: المصطلح العلمي، الترجمة، الصياغة، التعريب، التأصيل.

***Abstract*:**

This research aims to approach the epistemological and semiotic foundations according to which the nomenclature operates by the Arabic scientific term, as it aims to address the problem of placing the translated and Arabized term, its standardization and patterning, and the disruption of the communicative system in the educational field that may result from non-monotheism. Since the problem of the scientific term in Arab culture has become in conjunction with translation and Arabization, the topic of the term has rarely been addressed in isolation from these two topics. The birth of the Arabic scientific term has become a hostage to the existence of the Western term, and the circulation of Arabic terms and scientific discourse or between specialists has been based on the degree to which the recipient is able to acquire Western terminology and concepts, and this reflects two things. The first is that the Arab terminological apparatus is almost western in its concepts and quasi-Arab in its formulation and the second is that the task of Arab thought has been limited to trying to understand Western scientific concepts and transfer them to Arabic in the form of vocabulary lists, most of which are translated phonetically, no less or more.

Keywords: scientific term, translation, the wording, rooting.

مقدمة:

المصطلحات مفاتيح العلوم، فهي الجسر الذي عزّز أواصر التواصل المعرفي وامتزاج الثقافات المختلفة، حيث نجد العرب والغرب كل منهما بحاجة للقيام بعمليات ترجمية وتعريبية واسعة وعميقة للكثير من المصطلحات العلمية وبالتالي ساهم المصطلح العلمي في تحصيل وتبادل المعارف وتطور العلوم ومن هنا نلتمس أهميته في بناء النهضة العلمية التي سعى إليها العرب القدماء كما نلحظ أنّ تطور تلك العلوم وتقدمها صاحبه تعدّد المصطلحات ومنه صيغ لكلّ علم مصطلحات خاصة به في حين اتسمت هذه الأخيرة في بعض الأحيان بالعشوائية والاضطراب المصطلحي الذي سبّب لنا اختلافا في فهمها نظريا وفي كيفية تطبيقها عمليا، وهو ما أدى إلى تنامي الاهتمام وتضافر جهود اللغويون ودراساتهم لعلم المصطلح دراسة عميقة وخاصة المصطلحات العلمية الجديدة الوافدة من

كلّ مصر وعصر، حيث وجدنا العديد من المصطلحات أثناء هجرتها وارتحالها من بيئة إلى أخرى تغيرت وأخذت منحى دلاليا وَفقا للمتغيرات الزمانية والمكانية والمعرفية، وما إن تعددت واختلفت المصطلحات نجم عن هذا الأمر اختلافا في مبنى المصطلح الواحد ومنه اختلافا في مفهومه لحظة تداوله وهو ما يؤدي إلى اضطراب الفهم وينعكس سلبا على استيعابنا للمعرفة، ورغم اتحاد الباحثين العرب إلاّ أنّ إشكالية اضطراب المصطلح العلمي بين وضعه ونقله وبين صياغته وتداوله مازالت قائمة وتعود أسبابها الرئيسة إلى اختلاف مصدر المصطلح وتنوع المترجمين وغياب العامل العلمي الحاسم في صياغته مع المنهجية الواضحة لوضعه وتشابك الطرائق واتسامها بالذاتية، لأنّ التحكم في كيفية نقل المصطلح وإخضاع صياغته للذاتية هو تحكم في المعرفة وتضييق لها، ولأنّ وضع المصطلح العلمي وتداوله هو الأمر الذي من شأنه الإبقاء على استمراره وأحقيته في ذلك، به تترسخ المصطلحات العلمية أو تزول من الاستعمال، ثم دعت وتعالت أصوات منادية بضرورة توحيد المصطلحات العلمية والقضاء على التعدد غير المبرّر في صياغة المصطلح الواحد وتداوله من أجل تحقيق النهضة العلمية وإثراء حركة البحث العلمي فلا خلاف حين نؤكد على إشكالية صياغة المصطلح العلمي وتداوله والتأكيد على توحيد المصطلحات توحيدا دقيقا.

ولا ننكر أنّ الكتابة في العلوم الحديثة تعاني نقصا في المصطلحات العربية، ولذا يفضل كثير من المشتغلين بهذه العلوم المصطلح الأجنبي، أو الكتابة بغير العربية، أمّا الذين يكتبون في علم اللغة الحديث، فيعانون مشكلتين حادتين هما:

- كثرة المصطلحات في العلوم التي تدرس مستويات اللغة المعروفة، أي الصوت والصرف والنحو والدلالة، وإنّ بعض هذه المصطلحات لا تتوافر فيها شروط المصطلح، ما يخلق حالة من التصادم والتعارض بين هذه المصطلحات ومستعمليها.
- تشابك المصطلح التراثي الذي وصل إلينا عن علماء اللغة القدماء والمصطلح الجديد واشتداد الصراع بين أنصار القديم الذين يؤثرون المصطلح العربي، وأنصار الحديث الذين يميلون إلى المصطلح الجديد، فيؤدي ذلك إلى ارتباك القارئ، واختلاط المفاهيم لديه وعدم قدرته على تحديدها.

ومن هنا يتضح لنا أنّ الكتابة في العلوم الحديثة تشكو بطء عملية تعريب المصطلح ويشكو اللغويون المحدثون فوضى المصطلح اللغوي، وعدم توحده، ومعنى ذلك أنّ المصطلح اللغوي الحديث قد فقد أهم خصيصة من خصائص الاصطلاح وهي خصيصة الاتفاق أو الإجماع، التي بسببها سمي المصطلح مصطلحا، لأنه مأخوذ من قولهم: اصطلحوا على كذا أي اتفقوا عليه.

فبدلا من أن يكون المصطلح اللغوي الحديث عامل توحيد وتجميع، أصبح عامل تفريق وتشتيت، حتى لتجد أنّ اللغويين في البلد العربي الواحد متعارضون في استعمال بعض المصطلحات وغير مجمعين على التعبير عن حقيقة لغوية معينة بلفظ واحد.

فاللغة صورة لأصحابها، وقد تبوأت اللغات مكانة بارزة في خريطة المعرفة الإنسانية وتعاظم شأنها في عصر العولمة والمتغير المعلوماتي؛ فما من نهضة حضارية إلا وصاحبتها نهضة لغوية، وإذ تطلع أمتنا العربية نحو استئناف دورها الحضاري، مما يتطلب دخول ميادين العلم والمعرفة وامتلاك مفاتيحها، ولن يتأتى ذلك إلا إذا أخذنا من الآخرين كثيرا من المفاهيم والتقنيات الحديثة وقمنا بتعريبها، فالتعريب من المنطلقات الرئيسة للنهضة الثقافية. يقتضي ذلك الوقوف على معطيات الواقع اللغوي، غثه قبل سمينه، وتتراءى صورة الواقع ببعديه العربي والعالمي، فمؤشرات الواقع اللغوي العربي كشفت أنّ عملية التعريب تسير على استحياء بين إقدام وإحجام؛ فثمة ثقافة لغوية مغيبة، وتعريب متعثر، ومجامع تعمل ببطء في الظلال، وزاد الطين بلة ضغوط العولمة مما أثقل كاهل العربية ومؤسسات التعريب.

ويتزامن ذلك مع واقع لغوي عالمي غير مسبوق، تضخ فيه المستجدات، وتتوالد المفاهيم، وتتقولب المصطلحات، وقد تجاوز العالم برزخ لغة من لا ينتظر التي كانت من مفاهيم عربيتنا.

فالإشكالية – فيما يبدو – ليست في تعثر عملية التعريب لتباين المناهج أو المشارب بل في تأهيل الأمة نحو استئناف دورها الحضاري بلغة حضارية، أي دفع العربية نحو ولوج الفضاء اللغوي العالمي.

ويرى الباحث أنه لا ينبغي أن نطيل الانتظار، أو نستمر في اجترار الماضي، بل لعله من الحكمة أن نحدد آلية للخروج من – شرنقة الجمود – أزمة الوضع اللغوي العربي الراهن.

وعليه؛ فسيلقى الباحث الضوء على واقع التعريب في الوطن العربي وتداعياته في ظل مستجدات العولمة بهدف تحديد مواصفات الخطاب اللغوي العربي الحضاري، وسيقتصر البحث على عملية تعريب المصطلحات ويتخذها مجالاً تطبيقياً، لأنها واسطة العقد في عملية التعريب إذ تشير الدراسات إلى استحالة نهوض أمة في غياب لغتها بشكل عام ولغتها العلمية – المصطلحات – بشكل خاص، وسيتخذ الباحث من المنهج التحليلي الوصفي طريقاً.

ما دفعنا إلى الخوض في مناقشة هذا الموضوع وإثارة المسألة حوله دون أن نقتصر على تبيان الخلل والعلل في صياغة وتداول المصطلح العلمي وفي ظلّ هذه الأزمة المصطلحية نتساءل: كيف يمكننا أن نؤسس لمنهج متكامل لصناعة المصطلح العلمي وصياغته وتداوله وتوحيده في نسق اللغة والمعرفة؟

وفي خاتمة البحث محاولة جادة من شأنها الإفادة في توحيد المصطلح العلمي دون أن ننكر جهود القدماء العرب وعنايتهم بالمصطلح وامتداد جذور تفكيرهم المصطلحي إلى أعماق القضية.

1- المصطلح العلمي بين الصياغة والمرجعية المعرفية:

إنّ الأعمال النظرية العربية التي تعالج موضوع المصطلح والاصطلاح لا تعدو أن تكون عبارة عن تَغَنٍّ بأمجاد اللغة العربية في العهود الخوالي واستظهار طاقاتها التعبيرية النظرية من خلال استعراض الأوزان الصرفية المستعملة منها والمهملة.

والحال أنّ معظم الدراسات المصطلحية تذهب إلى أن حلّ إشكالية الاصطلاح والتعريب يكمن في إيجاد مقابلات عربية للمصطلحات الغربية وتبويبها في مدونات، تسمى تعسفا معاجم، يلجأ إليها المهتم عند الحاجة. وهي بذلك تضرب صفحا عن بعدين

أساسيين في تفجير الطاقات التعبيرية للغة، يتجلى أولهما في بلورة المعرفة العلمية بلورة أصيلة ويكمن ثانيهما في إنتاج خطابات علمية باللغة العربية.

لقد ترسخ هذا التصور في ذهن الباحث العربي إلى درجة صار معها تعريف المصطلح العلمي مرادفاً لإيجاد المقابل العربي كما نلاحظ ذلك من خلال التعريف الذي يسوقه محي الدين صابر في كتابه "من قضايا الثقافة العربية المعاصرة" إذ يقول : "المصطلح، هو إيجاد المقابل العربي للمصطلح العلمي باللغة الأجنبية"[1] وتتجلى خطورة هذا الطرح في كون البحث عن مقابلات المصطلح الأجنبي العربية يتمّ في معظم الحالات عبر التوسل باللغة الأجنبية نفسها عوض مساءلة المرجعيات والمفاهيم التي تحيل إليها المصطلحات الغربية. فما دام الفكر العربي عاجزا عن مجاراة الفكر الغربي في الميدان العلمي والتقني فإنه يتعين على الباحث العربي أن يعيد صوغ ما يعبر عن الاكتشافات العلمية الغربية انطلاقاً من جذورها الإبستمولوجية ومرجعياتها التصورية غير اللسانية عوض اللجوء إلى جذور المصطلح اللغوية. ونتيجة ارتباط البحث المصطلحي العربي باللغات الأجنبية ارتباطاً وثيقاً، صار المصطلح العلمي العربي يشتغل وفق نظرية سيميائية فريدة من نوعها، نظرية تقتضي وجود دالين ومدلولين لدليل لساني واحد، وربما تسميتين لمرجع واحد. ومثالاً على ذلك أنّ مجرد سماع مصطلحات عربية كمصطلح "تحلون الدم"، قد يطرح في ذهن المتلقي جملة من التساؤلات حول المفاهيم والمرجعيات الثاوية وراء هذه الكلمة العلمية ليجد بذلك نفسه مضطراً للرجوع إلى تعريفاتها، لكن مجرد استحضار مقابلاتها في اللغة الفرنسية مثلا قد يُغنيه عن الاستنجاد بتلك التعريفات. ذلك أن مصطلح "glycéme" هو (تحلون الدم) تفي على التوالي بالغرض المطلوب لأنها تحمل في طياتها تعريفاتها، وهذا إنما يكشف النقاب عن مسألة غاية في الخطورة تتجلى في كون البعد التداولي في المصطلح العربي بعد غربي صرف. وقد يعود ذلك إلى سببين اثنين: ظاهرهما أنّ تعريب العلوم ظلّ تعريباً جزئياً سواء تعلق الأمر بفروع العلوم المنقولة أو بمختلف مرافق الحياة العلمية، وباطنهما، وهو أعظم شأنا، أن الخلفية العلمية العربية خلفية غربية على الرغم من عالمية المفاهيم العلمية.

2- إشكالية تعريب المصطلحات العلمية:

أثارت عملية صناعة المصطلحات وبرمجتها والاتفاق عليها إشكاليات عدة لدى اللغات الحية كافة، ولذا فمن المتوقع أن تكون أكثر حدة لدى العربية وفي العالم العربي بشكل خاص، فقد حملت النهضة العلمية الحديثة للعالم العربي طموحات كبيرة وتحديات كثيرة، ولعلّ من أبرزها تعريب المفاهيم والمصطلحات، والمتتبع لمسيرة نقل العلوم والتقنيات إلى اللسان العربي يجد أنّ العاملين في حقل التعريب قد واجهوا متاعب عديدة نتيجة لسرعة تدفق العلوم والمعارف، وما تحمل من مفاهيم ومصطلحات وتقنيات، وما تتطلبه من معادل لغوي عربي.

ويلاحظ أنه على الرغم من الحماس والجهود المبذولة؛ إلا أنه لم تكن هناك سياسة واضحة أو منهجية محدودة متفق عليها التزم بها العاملون في مؤسسات التعريب والجامعات والمؤسسات التربوية. ولذلك فقد تعددت الاجتهادات وتباينت الآراء أثناء عملية نقل وتعريب المصطلحات. وقد استوقفت إشكالية تعريب المصطلح كثيراً من الباحثين، ومن الذين أثارت حفيظتهم د. عبد القادر الريحاوي حيث يقول "إن معضلة المصطلح ما زالت قائمة، إذ تتفاوت المصطلحات في مستواها وقابليتها للبقاء والشيوع، كما يختلف تعريب المصطلح الواحد باختلاف البلدان والمعاجم والأفراد، ولا يكاد يتفق معربان من بلد واحد على صياغة مصطلح واحد"[(2)].

وما هذا ببعيد عن ما أشار إليه د. أنور الخطيب إذ أطلق على عملية التباين في تعريب المصطلحات بفوضى المصطلح العربي، حيث يقول " أضحى داءً من أدواء لساننا العلمي العربي اختلاف المصطلحات الموضوعة لمدخل علمي واحد، وأمسى قاتلاً انفصال الأقطار العربية بعضها عن بعض، وتباعد مجامعها اللغوية، وجامعاتها وأساتذتها ومستوياتها العلمية والاجتماعية والأخلاقية وانتماءاتها القومية[(3)].

وإذا ما أضيفت إلى هذه الإشكاليات إشكالية كبرى، ألقت بثقلها على الساحة الدولية . ألا وهي إشكالية التعامل مع المصطلحات في ظلّ العولمة وما أفرزت من مفاهيم

وأثارت من تداعيات في الآونة الأخيرة؛ إذ لعبت التقنيات وأنظمة المعلومات وشبكاتها من محطات تلفزيونية كونية وصحافة إلكترونية دوراً فاعلاً في صناعة ثقافة العولمة وترويجها فكان ذلك مدعاة للتوجه نحو ثقافة العولمة الأمر الذي أثار جملة من الإشكاليات في الفكر والثقافة والخصوصية الحضارية، وبخاصة في وطننا العربي الذي تعصف فيه رياح التغير.

وتعزى أسباب التباين في وضع المصطلح إلى مجموعة من القضايا أبرزها:

1. تعدد مشارب واضعي المصطلحات، مما أدى إلى اختلاف في المفاهيم وتباين في التعبير عنها ومن ثمّ في تعريبها.
2. الطريقة التي اتبعها معربو المصطلحات، فقد آثر بعضهم اعتماد ما جاء في المعاجم وآثر آخرون استخدام المصطلح الأجنبي منقولاً بلفظه نقلاً حرفياً.
3. اعتماد بعض المعربين الترجمة الحرفية في كثير من الأحيان وبذلك غفل عن المهمة المكلف بها، مما انعكس سلباً على المصطلح المعرب فجاء نابياً غير مأنوس.
4. غرابة المصطلح أصلاً وعدم اقتباسه من المعطيات البيئية المحلية.
5. عدم اقتران المصطلح المعرب بالأصل الأجنبي أو إثباته بين هلالين لإزالة الغموض.

ويرجع سعد مصلوح[4]، التباين إلى أسباب فلسفية وإقليمية وفردية، يربط بين تفاوت حظها من التوفيق في النقل وتفاوت حظوظ أصحابها من المعرفة الوثيقة بأصول التصورات المنقولة، وسلامة الأداة الناقلة والمقدرة على الإحاطة بميزان العربية في موضوع النقل، وما هذا ببعيد مما أشار[5] وهو يعقب على اختلاف المناهج في النقل تعريباً وتعبيراً، وبخاصة بين المؤسسات التي تصدت لعملية التعريب كالجامعات العربية، والاتحادات العلمية والمنظمات الإقليمية بالإضافة إلى المجامع العلمية واللغوية والتي يعوّل على إنتاجها كثيراً.

واستكمالاً للفائدة نعرض نموذجاً من المصطلحات كما عربتها مجموعة من المعاجم:

حرفC	مصطلحات علم النباتات	مصطلحات علم الحيوان	المعجم الطبي الموحد
1.Calcar	.	كلس	مهماز
2.Capsule	علبة	.	محفظة
3.Carbohydrate	كاربوهيدرات	كربوهيدرات	السكريات
4.Cholecyst	.	كيس الصفراء	المرارة
5.Character	صفة	.	خاصة
6.Chill	.	قشعريرة	نافض
7.Cusp	.	طية صمام القلب	مصراع
8.Cyst	حوصلة	كيس	كيسة
9.Cytoplasm	سيتوبلازم	ساتيوبلازم	الهيلولى

ومما زاد في حدة التباين ظهور معاجم ذات صفة تجارية، وأخرى ذات طابع سياسي بدعم من بعض الدول الأوروبية بهدف ترسيخ البعد الثقافي من جهة وتسهيل العلاقة التجارية من جهة أخرى(6)، كما أسهم في هذه الإشكالية التدفق المتسارع للعلوم والفنون والتكنولوجيا وبطء مجامع اللغة والمؤسسات العلمية في متابعة المستجدات، فكان أن تصدى لصناعة المصطلحات وتعريبها القادر وغير القادر والمؤهل وغير المؤهل.

ويرى الباحث أنّ الإشكالية ليست في تعريب المصطلحات ونقلها فحسب بل في القدرة على استعمال هذه المصطلحات وتداولها وترويجها في الوسط العربي، فإذا كانت عملية تعريب المصطلحات تمثل الجانب اللغوي الأصولي من هذه الإشكالية؛ فإنّ استعمال المصطلحات ونشرها هو الجانب الفني التكميلي؛ ذلك أنّ عملية التعريب لا تستوي إلا على جناحين اثنين هما:

1. تعريب المصطلحات وألفاظ الحضارة.
2. نشرها بين المتعلمين والعاملين والذين هم بحاجة إليها تمهيداً لإدخالها اللغة العلمية فلا قيمة لمصطلح علمي، أو لفظ حضاري يبقى حبيس رفوف مكتبات مجامع اللغة

أو مؤسسات التعريب، فالمصطلحات شأنها شأن اللغات تحيا بالاستعمال والتداول وتموت بالهجر والإهمال[7].

وإذ تكشف مؤشرات الواقع العربي، من خلال تتبع قرارات وندوات ومؤشرات المجامع، أنّ دراسة المصطلحات وصولاً إلى إقرارها يستغرق وقتاً طويلاً علاوة على التباطؤ في إصدار القرارات؛ إذ يعقد المؤتمر العام للتعريب مرة واحدة في كلّ عام لدراسة مصطلحات محددة وإقرارها وتترك مدة ستة أشهر ليدلي العلماء العرب برأيهم فيها[8].

ولعل هذا البطء الشديد في إصدار قرارات التعريب أفسح المجال للاجتهادات الشخصية، مما برر للبعض استخدام المصطلح الأجنبي دون العودة إلى العربية أو مؤسسات التعريب، وتشير الوقائع إلى أنّ العديد من مشاريع التعريب ما زالت جاثمة على رفوف مكتب تنسيق التعريب في الرباط دون قرار أو تنتظر الإقرار[9].

بقي أن نشير إلى أنّ هذا الواقع العربي يتزامن مع رياح التغير –الانقلاب المصطلحي– التي تجتاح العالم اليوم، وها هي تعصف بالمنطقة العربية وبلغتها بشكل خاص. إن دخول القرن الحادي العشرين، قرن المتغيرات المتسارعة، والانفتاح الحرّ وتلاشي الحواجز والحدود بين الأمم يعدّ مقدمة لطلائع الثورة المعلوماتية الثالثة إذ تزداد المخاوف من أن يتحكم العولميون نتيجة لامتلاكهم زمام التقنية بالمصطلحات المفتاحية الضابطة لقنوات الاتصال. مما يوسع التهديد اللغوي المصطلحي، فالهوة بيننا وبين الآخرين تتسع، في الوقت الذي تتعمق العلاقة وتصبح حميمة بين اللغة وتكنولوجيا المعلومات.

فماذا نحن فاعلون أمام اندفاع لغة العولمة – الإنجليزية . وانكماش العربية لغة الآباء الأجداد والتراث؟

3– المصطلح العلمي والعولمة:

أما وقد تعاظم دور اللغة في عصر العولمة والمتغير المعلوماتي، فثمة معركة لغوية تدور بالسر والعلانية نتيجة إحساس كثير من دول العالم بخطر لغة العولمة.

فقد ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية – عرابة العولمة – في هيمنة وشيوع الإنجليزية وجعلت منها رأس حربة في تنفيذ مخططاتها لسيادة العالم معلوماتياً وثقافياً وبذلك تدخل – بشكل واثق الخطى – بوابة القرن الحادي والعشرين، ولتجعل منه قرناً أمريكياً. عولمياً لا عالمياً. قرناً لغوياً إذ من المتوقع أن يكون للرمز –اللغة– فيه سلطة تفوق كلّ السلطات[10].

ولنتأمل مقولة أحد منظري العولمة لعلها تكشف عن منهجية دفع الأحداث نحو لغة العولمة – الأنجلو أمريكية – فهذا بنيامين باربر يقول (الأسواق المشتركة تتطلب لغة مشتركة ونقداً مشتركاً وتفضي إلى سلوكيات مشتركة)[11].

وما هذا ببعيد عن سياسة الدفع المستمر والتوجيه المبطن لسيادة لغة العولمة المتمثل في مقولة ديفدريثكوين حيث يقول "إذا كان العالم يتحرك باتجاه، لغة مشتركة، فإنّ هذه اللغة ستكون هي الإنجليزية".

وقد بلغت درجة الإعجاب باللغة الإنجليزية أن أطلق عليها ديفدكريستيال اللغة الكوكبية من خلال كتابه المعروف "اللغة الإنجليزية لغة كوكبية".

ولعلّ لغة الأرقام تكشف عن فاشية الإنجليزية في مجال الإعلام:

65% من البرامج الإذاعية تذاع باللغة الإنجليزية.

70% من البرامج المتلفزة تبث باللغة الإنجليزية.

90% من الوثائق المخزونة في شبكات الإنترنت بالإنجليزية.

85% من المكالمات الهاتفية الدولية بالإنجليزية.

ويشير الباحثون إلى أنّ العولميين يمارسون ضغوطاً لغوية غير مسبوقة على لغات العالم كافة، ضغوطاً لا ترحم أحداً: عدواً كان أو صديقاً وتلك وقفة تأمل لواقع دولة صديقة – على حد زعم العولميين – فرنسا عاصمة الثقافة العريقة تترنح أمام الإعصار الثقافي الذي يعصف باللغة الفرنسية عبر الأطلنطي، وهذه اليابان رائدة التكنولوجيا الحديثة تعلن انسحابها من صناعة البرمجيات تحت ضغط أنظمة المعلومات الإنجليزية[12].

وهكذا ضاقت لغات العالم ذرعاً بالإنجليزية، وحتى اللغات الأوروبية بدت تدافع عن لغاتها وتعمل على حمايتها من خلال التنوع اللغوي أو محاولة الوقوف ضدّ هيمنة القطب اللغوي الأوحد، ويمثل هذا الاتجاه اليابان التي ربطت مصيرها التقني والمعلوماتي بلغتها الأم. واتقاء لشر الإنجليزية بدأت العديد من الدول الغربية تحيي سياسات التقارب اللغوي نحو الانجلوفونية، والفرانكوفونية، والإسبانوفونية.

وبقراءة تحليلية ناقدة نلاحظ توالد العديد من المصطلحات نحو الإمبريالية اللغوية والكوكبية، الدارونية اللغوية كما يطيب لبعض الباحثين تسميتها[13] ولعل هذه التسميات تعكس هيمنة الإنجليزية التي بدأت تفرض عالميتها وعولمتها على لغات العالم، الأمر الذي سيعمل على إقصاء بعض اللغات من الساحة الدولية اللغوية ومن هنا يمكن القول بأن عولمة اللغة لا تقل خطراً عن عولمة الاقتصاد بل لعلها مكمن الخطر لأنّ اللغة ليست نظاماً صوتياً فحسب؛ وإنما أداة فكر وعقيدة، والفكر هو الموجّه لسلوك الإنسان، فالإنسان أسير فكره وعقيدته قبل أن يكون أسير بطنه، وإذ تختلف فلسفة النظرة إلى الحياة من أمة إلى أخرى، مما يتطلب المحافظة على خصوصيات الأمم، الأمر الذي يقود إلى مزيد من التنوع مما يسهم في الارتقاء بالجنس البشري فاختلاف الألوان في الثقافات والحضارات ظاهرة صحية لأنها تتيح فرصة لتلاقح الأفكار وتبادل الثقافات – المتناقضة – خلافاً لما يسعى إليه مخططو العولمة من إذابة الثقافة لتحلّ مكانها ثقافة الأقوى وبالتالي لغة الأقوى وهذا يعني سيادة الإنجليزية، واضمحلال ما سواها[14].

بناء على ما تقدّم وفي ضوء ما تتعرض له الخريطة الجيولغوية العالمية، أين موقع العربية من بين اللغات العالمية وخاصة في زخم العولمة واكتساح اللغة الإنجليزية التي حازت على شعبية واسعة حين تسلطت على رقاب العلم والأدب ؟

4- آلية الخروج من أزمة تعريب المصطلحات:

على الرغم من أنّ صورة الواقع اللغوي العربي ضبابية فثمة تباين وإشكاليات متنوعة وقع فيها علماؤنا الذين قادوا مسيرة التعريب؛ إلا أنّ الأمانة العلمية تقتضي منا أن نبارك جهود علمائنا؛ فقد سددوا وقاربوا، وبذلوا جهوداً جبارة لا ينكرها إلا عاق للعربية والعرب.

ولعلّ ما توصل إليه الباحثون المخلصون والغيورون يدفعنا نحو استئناف المسيرة، لكن مسيرة الاستئناف تكمن في الائتلاف؛ مما يتطلب ضبط أمور ومرجعيات ومنهجيات كثيرة إذ تقتضي الحكمة أن نعيد ضبط وبرمجة كثير من القضايا الشائكة على شكل آلية عمل تتضمن مجموعة من القضايا الساخنة التي ستسهم بإذن الله في معالجة إشكاليات تعريب المصطلح ولعل من أبرزها:

- **الارتقاء بأساليب البحث اللغوي العربي:**

تقتضي عملية تطوير المعاجم المتخصصة التي تعنى بالمصطلحات الارتقاء بأدوات البحث من جمع ونقل ووضع للمصطلحات وتأليف للمعجمات، فمن العبث أن يقتصر البحث على الوسائل التقليدية؛ إذ يفترض أن نبدأ سلسلة من الإجراءات العملية نذكر منها:

أ. بناء مستودعات – بنوك – للمصطلحات: وذلك باعتماد نظام حوسبة آلي يقوم على قاعدة بيانات مصطلحية، وهذا يتطلب الشروع في تصميم معجمات متخصصة حاسوبية تعتمد النظام الألف بائي – الأحرف العربية وفق صورتها الطبيعية – على أن تبوب المصطلحات العلمية موضوعياً، ويوضع ما يقابلها بالإنجليزية، أو الفرنسية.

ب. استخدام التكنولوجيا في مجالات البحث اللغوي كافة، لأنها إضاءة عصرية ينبغي الإفادة منها وتوظيفها لخدمة العربية، إذ لا غنى للغة قط عن برامج حوسبة اللغة وبرمجة منظوماتها، ونذكر باحترام وتقدير جهود علمائنا العرب الذين استطاعوا تطويع آخر إنجازات علم النص لمطالب نصوصنا العربية[15].

ج. الشروع في اتخاذ خطوات إجرائية نحو إحياء المشروع اللغوي الحضاري العربي.

د. التحذير من الاندفاع وراء المصطلحات البراقة، دون دراستها أو إجازتها أو تعريبها بشكل غير دقيق، كي لا تتحول ثقافتنا الأصلية إلى ثقافة استهلاكية وهي ما تعرف بـ Consumer Culture نتيجة ضغوط العولمة.

هـ. تصميم برامج التعامل مع الواقع اللغوي في ظل الفضاء المعلوماتي يتطلب ذلك تأهيل المتخصصين وطلبة العلم والدراسات العليا للتعامل مع العوالم الخائلية، مما يقتضي اكتساب مهارات جديدة كمهارة الحوار عن بعد ومهارة التفاعل مع نظم الواقع الخائلي[16].

و. التركيز على مهارات التواصل اللغوي مع الآخرين فقد فتح عصر العولمة باباً واسعاً للاحتكاك مع الآخرين مما يتطلب تنمية الثقافة وأساليب الإقناع وهندسة الحوار وإبرام الصفقات المتوازية وهذه وقفة – لا تخلو من شكوى – نراها ونسمعها من طلبتنا في كافة مواقعهم ومستوياتهم تتمثل في ضمور . مهارة التواصل اللغوي . قراءة، وكتابة واستماعاً . مما يتطلب إعادة النظر في مناهجنا بشكل عام وطرائق تعليم اللغات والعربية بشكل خاص كي نصل إلى سلامة القلم واللسان[17].

ويلاحظ من يتولى تحليل مناهجنا المدرسية والجامعية أنها تفتقر إلى إجابات شافية لما يدور في عالمنا اليوم ويشاطرني في هذا الرأي كثير من الباحثين، بل منهم من يذهب أبعد من ذلك فيرى أنه لا يوجد في (خططنا المستقبلية حتى اللحظة، رغم مرارتها، كيف نواجه التحديات القادمة ؟ وكيف يجب أن تكون العلاقة بين المخزون المعرفي ومتطلبات العصر ؟ وما هي الخبرات المقترحة والمساحات المفتوحة أمامنا ؟)[18].

وعليه؛ فثمة توجه ينبغي العمل على تطويره وهو ثقافة الأزمات وما يتطلبه من تطوير برامج لغوية لهذه الغاية تتضمن معاجم ثنائية محوسبة، ولعلّ هذا التوجه يتفق مع توجهات المتخصصين في اللسانيات الحديثة الذين يدفعون بعجلة التنظير اللغوي نحو هندسة اللغة وفق نظام رياضي لكتابة قواعد النحو، فقد آتت عملية التفاعل بين أهل اللغة وأهل الحاسوب أكلها فظهرت نماذج نحوية ينبغي لنا أن نحذو حذوها نذكر منها:

أ. نحو وظيفي معجمي Lexical Functional Grammar.

ب. نحو علائقي Relation Grammar.

ت. شبكات الانتقال المعززة Augmented Transition Network .

ولعل هذا المنهج يدفع أهل العربية للخروج من أسر – دائرة – النهج التحليلي القائم على الاكتفاء بإعطاء الأمثلة، وهذا يقودنا إلى اقتحام أبواب اللغات المتقدمة والإفادة من برامجها، فثمة أبواب فتحت . إبان عصر العولمة .

5- نحو مصطلح علمي موحد:

سأل الفيلسوف كونفيشيوس في الصين عن كيفية إصلاح البلاد فأجابه: "عليك أن تبدأ بإصلاح اللغة"[19].

إنّ اللغة العربية الفصحى في حاجة إلى تلاحم جميع اللسانيين والمختصين من أجل العمل على تيسير استعمالها في الحياة العامة،وتجنب كل التعقيدات الممكنة، وتدليل الصعوبات الكائنة، وتبسيط القواعد النحوية، والصرفية، مع العمل على تزكيتها بقوالب صيغية ومصطلحات جديدة في حدود اللغة القابلة للاستعمال.

هنا يمكن أن نبتدئ بوضع منهجية واضحة وموحدة في توليد المصطلح اللساني الحديث. إن استخدام المصطلح اللساني الحديث داخل الترجمة والتعريب هي أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى خلخلة التوازن المعرفي الذي نضبطه، لذا كانت الضرورة ملحة من أجل ضبط دقيق للحالات التي ينبغي فيها ترجمة المصطلح والحالات التي يجب فيها تعريبه على الرغم ممن يوازي بين الترجمة والتعريب ويعتبرهما شيئا واحدا، وهو أمر خاطئ بالنظر إلى مسألة التخصص ومجال الاشتغال.

إنّ الآلة التي بموجبها اشتغل جلّ الباحثين في المجال الاصطلاحي هي: الاشتقاق والاقتراض، والنحت، والتوليد. إذ يصرّ بعض المصطلحيين على إيجاد المقابل العربي وتجنب الوافد الأجنبي، هذا التجنب الذي يؤدي في غالب الأحيان إلى خلق مقابلات متعددة وعلى ضوء هذا، يتأكد أنّ النقاش والخلاف بين اللسانيين الساهرين على تنظيم المصطلح

داخل المعجم، فمنهم من ينتصر للنحت فيضع كمقابل لـ électromagnétique "كهرمغناطسي" وهناك من يعمل على تحليل الكلمة ويقسمها إلى أجزائها الأصلية قبل تعريبها مثلا. walky-talky، في مقابل ذلك هناك من يبحث في الإرث اللغوي ليستعمل بدل التلفون، الهاتف.

وهو الأمر الذي انعكس بالتأكيد على عملية عدم الضبط الدقيق للمصطلح اللساني الحديث، إذ نجد كمقابل لـ مصطلح phonology علم الأصوات التنظيمي، علم التشكيل الصوتي، علم وظائف الأصوات، النطقيات، علم الأصوات، علم الأصوات التشكيلي أو التنظيمي، علم النظم الصوتية، دراسة اللفظ الوظيفي، علم الأصوات اللغوية الوظيفي. وبالتعريب يمكن أن ننقل الكلمة عبر الاشتقاق phonological كمقابل لـ : فونولوجي وphonology كمقابل لـ: فونولوجيا[20].

إذا كان جميع المختصين، وكلّ المجامع اللغوية لا تخرج عن ذلك الإطار الذي يحدد بشكل قوي القواعد الأساسية التي بموجبها يحوسب المصطلح، فلما لا توجد خطاطة عامة نعمل بموجبها على توحيد المصطلح اللساني، كما أنها ستوفر مجموعة من إمكانات التوليد الدقيقة والمضبوطة، من منطلق تطبيق آلية الاشتقاق، والنحت، والاقتراض، والتوليد.

خاتمة:

أمّا وقد تراءت لنا صورة الواقع اللغوي ببعديه العربي والعالمي فنحن أمام خيارين؛ إما أن نعمل على تغيير هذا الواقع أو أن نترك الواقع يغيرنا ويستبيح حمى لغتنا، إذ تشير الدراسات الاستشرافية إلى اتساع نطاق هيمنة اللغات نتيجة لتلاحق المتغيرات والمستجدات.

ويبدو أنّ إشكالية اللغة ومصطلحاتها ووسائل إنعاشها أكبر من يحاط بها دون استراتيجية واضحة على مستوى قومي، فحجم التحدي الذي أفرزته العولمة كبير، ولا ينبغي أن ندخل في معركة غير متكافئة مع العولمة؛ بل لعله من الحكمة أن نفيد منها، بأن نتخذ من تحديات العولمة محرضاً ثقافياً، وكفى بالعولمة محرضاً، فقد فتحت أمامنا أبواباً ما برحت

مغلقة، وأتاحت لنا الوصول إلى تخوم المعرفة، فنحن بحاجة إلى أقلمة العربية لكي تتعايش مع الإنجليزية – ولا ضير في ذلك – فقد أقلم اليابانيون والصينيون لغاتهم وفقاً لحاجات العصر، إذ يمكن مسايرة الواقع العالمي بوعي وكياسة كي لا ندخل بوابة العزلة اللغوية والتقوقع على الذات، بوسع أمتنا أن تستنبت معارفها إذا ما ارتفعت بوسائل تطوير لغتها وأن تحلق بجناحين اثنين، جناح الأصالة الذي يمثل خصوصيتها وثوابتها وتراثها، وجناح التقنية الذي يمثل عنفوانها ودورها الحضاري – لا أقول المنتظر – بل المتواصل.

لقد أفرزت إشكالية المصطلح ظاهرة تسمى (القلق اللغوي المصطلحي) وهي ظاهرة سبق أن خاضت غمارها العربية أفادت منها اللغات؛ فاللغات الحية تبدي قلقاً بدفعها باستمرار نحو مراجعة معجمها وتجديد ذاتها.

ختاماً يمكن القول إن إشكالية الاصطلاح في العلوم العربية هي إشكالية فكر ولغة وخطاب ومصطلح في آن واحد ولا يمكن الفصل بين هذه المقومات، ومن ثمّ فإن معضلة المصطلح ينبغي مقاربتها من داخل الفكر واللغة العربيين قبل اللجوء إلى وسائل خارجية.

الهوامش والإحالات:

(1)– محي الدين صابر "من قضايا الثقافة العربية المعاصرة "المكتبة العصرية، بيروت، 1987، ص129.

(2)– عبد القادر الريحاوي، قضية تعريب العلوم، المؤتمر الأول للكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي 1990

(3)– أنور الخطيب، منهج بناء المصطلح العلمي العربي، مجلة اللسان العربي، مج20 الرباط، 1986، ص86.

(4)– سعد مصلوح، رصيد مصطلحي بغير استثمار، ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً، تونس، 1986.

(5)– محمود الحبيب، مشاكل ومعوقات التعريب، مجلة اللسان العربي، عدد 17، 1979م، ص186.

(6)– أنور الخطيب، منهج المصطلح العلمي العربي، مرجع سابق، ص87.

(7)– ممدوح خسارة، منهجية التعريب عند المحدثين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1993 ص462.

(8)– مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ط2، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1988، ص7.

(9)– اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ندوة تعريب المصطلح الفني، تونس، 1992، ص104.

(10)– نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 2001م، ص272.

(11)– عزت السيد أحمد، انهيار مزاعم العولمة، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2000.

(12)– نبيل علي، مرجع سابق، ص272.

(13)– نبيل علي، مرجع سابق، ص272.

(14)– إبراهيم حمدان، عولمة اللغة أم لغة العولمة، ندوة العولمة وأولويات التربية، جامعة الملك سعود الرياض، 1425هـ.

(15)– نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص125.

(16)– نبيل علي، مرجع سابق، ص315.

(17)– إبراهيم حمدان، عولمة اللغة أم لغة العولمة، مرجع سابق، ص20.

(18)– بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، مرجع سابق ص119.

(19)– الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب نين اختلالات التعددية و ثغرات "الترجمة"، منشورات الزاوية، المغرب. 2005، ص94.

(20)– الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط، دار توبقال، ط1، المغرب، 1998، ص118.